آليات الحجاج (الوصل والفصل) من منظور البلاغة الجديدة في الخطب المنبرية الدينية.

- خطبة " طرق الوقاية من وباء كورونا" للشيخ "صلاح البدير"- أنموذجًا.

The mechanisms of pilgrims (connection and separation) from the perspective of new rhetoric in the religious sermons .The sermon of "Methods of Prevention of the Coronavirus pandemic" by Sheikh "Salah Al-Badir" - as an example

طالبة الدكتوراه/ بوصبيع وداد
أستاذ التعليم العالي/ د. علي حمودين

قسم اللغة و الأدب العربي- جامعة قاصدي مرباح- ورقلة(الجزائر)

مخبر انتماء الطالب: مخبر اللّسانيات النّصية و تحليل الخطاب، جامعة ورقلة.

bousbia.widad@univ-ouargla.dz

تاريخ القبول: 2021/04/01 تاريخ الإيداع: 2022/05/15 تاريخ النشر: 2022/09/15

ملخص:

تُحاول هذه الدّراسة الوقوف على آليات البلاغة الجديدة (الوصل والفصل) و التي أرسى دعائمها الفيلسوف البلجيكي "شاييم بيرلمان"، وجعل منها ركيزة من ركائز الدّرس الحجاجي. وذلك بتطبيقها على خطبة منبرية دينية على اعتبار أنّ الخطب المنبرية وسيلة تواصلية يحتاج فيها المرسِل إلى قدر كبير من الحجج قصد إقناع الطرف الآخر. على أنّنا سنسلّط الضوء على خطبة معاصرة ألقيت في ظلّ الظروف الرّاهنة، المتمثلة في انتشار الوباء معنونة بـ"طرق الوقاية من وباء كورونا" للشيخ "صلاح البدير". فإلى أيّ مدى وُفق الخطيب في توظيف تقنيات البلاغة الجديدة (الوصل والفصل)؟ وهل تمكّن بحق من إقناع المتلقين وإيصال مقاصده إليهم ؟.

الكلمات المفتاحية: آليات ؛ البلاغة الجديدة ؛ الوصل و الفصل ؛ الخطب المنبرية الدينية ؛الحجاج.

Abstract:

The curent study seeks to identify the mechanisms of the new rhetoric (connection and separation) that the Belgian philosopher Chaim Perelman laid its foundations and critically made it one of the pillars of the Argumentative study. By applying it to a religious tribune sermon on the grounds that the sermons are a means of communication in which the sender needs a great deal of arguments in order to persuade the other party, that we will shed light on a contemporary sermon delivered in light of the current circumstances, represented in the spread of the pandemic, entitled: “Methods of prevention from Corona pandemic "of Sheikh" Salah Al-Badir. " To what extent did the preacher succeed in employing the new techniques of rhetoric (connection and separation)? Was he truly able to convince the recipients and communicate his purposes to them?

key words: Mechanisms; New Rhetoric; Connection and Separation; Tribune sermons; Argumentations .

مقدمة:

البلاغة الجديدة مصطلح نتج عن الثقافة الغربية تحت البحث التداولي الحجاجي الموسوم بـ "مصنف في الحجاج أو البلاغة الجديدة" للمؤلفين "شاييم بيرلمان" (chaim perlman) و"ألبرخت تيتكا" (olbrechts tyteca) في منتصف القرن العشرين، والمراد من هذا المصنف ربط البلاغة بالحجاج على اعتبار أنّ العنوان الفرعي "عبّر عن التوجه العام الذي يروم جعل البلاغة علمًا مستقبليًا هدفه (...) تطوير المجتمع وتحليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خططها الحجاجية المتأسسة عليها"[1].

وتُعنى البلاغة الجديدة بالإقناع وليس الأسلوب، فهي ليست "معنية بشكل الخطاب من أجل الزّخرف أو القيم الجمالية، بل من جهة كونها وسيلة للإقناع وخاصة وسيلة للإبداع أي الحضور"[2]،وهو ما ينطبق على الخطب المنبرية الدينية موضوع الدراسة على اعتبار أنّها نوع من الخطابات الإقناعية التي توظّف العديد من التقنيات البلاغية؛ لا من أجل الاهتمام بالأسلوب في حدّ ذاته، بل إقناع المتلقي والتأثير فيه هو الغاية المرجوة منها،لهذا اهتمت البلاغة الجديدة بوسائل الإقناع والحجاج المختلفة، ولتطبيق ذلك على خطبة منبرية كان الأولى دراسة التقنيات الإقناعية في تلك الخطبة عن طريق آليات الحجاج (الوصل والفصل) التي يتوسل بها الخطيب

الشيخ"صلاح البدير"، لتمرير خطابه إلى الجمهور المتلقي خاصة لما يتعلق الأمر بـ فيروس كورونا و طرق الوقاية منه.

أولا: موقع آليات الوصل والفصل من البلاغة الجديدة:

1 – الحجاج: الماهية والمفهوم:

أ.لغة: بعد إطلالة موغلة في صفحات أمهات الكتب اللّغوية لرصد مفهوم الحجاج، وجدنا أنّها تتفق كلّها في أن الحجاج هو مصدر للحجّة، ووقفنا على ما جاء في "مقاييس اللغة" لابن فارس (ت 395) في مادة "حجّ" حيث يقول: "يقال حَاجَجْتُ فلانًا فحَجَجْتُه، أي غَلَبْتُه بالحجّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجَجْ، والمصدر الحِجاج"[3]، لذلك فالحجاج عند "ابن فارس" وغيره من اللّغويين القدامى لا يخرج من إطار الدّليل والبرهان والقصد أثناء نقاش أو خصام بين اثنين أو أكثر، وكل منهما يحاول إقناع الطرف الآخر من خلال حُججه وبراهينه.

ب.اصطلاحًا: بما أنّ مفهوم الحجاج يتقاطع مع ميادين مختلفة، فقد أحدث ذلك لُبسًا لدى الباحثين حين أرادوا تقديم تعريف اصطلاحي له بين فلاسفة وبلاغيين، لسانيين أو رجال القانون.... وغيرهم.

لكنّنا في هذه الدراسة سنكتفي بتعريف الحجاج اللّساني؛إذ يرى"أبو بكر العزاوي" أنّ اللّغة تحمل بصفة ذاتيّة وجوهرية وظيفة حجاجية فنجده يعرف الحجاج بأنّه "تقديم الأدلة والحجج المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات إستنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنج منها"[4] ؛ فالحجاج عنده مؤسس على بنية الأقوال اللّغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، هذا الخطاب – مهما كان ميدانه – يعدُّ الأرض الخصبة للحجاج ومن خلاله يدرك المخاطَب قصد المخاطِب ويكشف عن فحواه، وهو ما سنحاول الوقوف عليه في خطبة الجمعة المختارة.

2 – البلاغة الجديدة من منظور "بيرلمان" و"تيتكا":

كثيرًا ما يُعتقد أنّ البلاغة الجديدة (الحجاج) هو وليد البلاغة القديمة بحكم التقنيات والآليات التي اتّسمت بها قصد التأثير في المتلقي، وبحكم اشتراكهما في المجال الخطابي والجدلي

الذي ينتميان إليه ولكن أنّى لهما ذلك. لقد استطاع كُلاً من "بيرلمان" و"تيتكا" تقديم تصوّر جديد للحجاج بعيدًا عمّا قيل سابقًا في البلاغة القديمة.

اهتمت البلاغة الكلاسيكية بأساليب الكلام المجازية من صور بيانية ومحسنات بديعية تزيد الخطاب جمالا فيتم استمالة المتلقي وإقناعه من خلالها؛إذ "جمع القدامى في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر العقلية للحجاج بمكوناته الوجدانية والجمالية"[5] أمّا الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتكا" فقد رأيَا أنّ "موضوعه هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بما يُعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في ذلك التسليم" [6]،وبالتالي "الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل ويُهيئه للقيام بالعمل"[7] كما تحدّثا عن الغاية من الحجاج فرأيَا أنّ: "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تُذعن لما يُطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجح الحجاج ما وُفِّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثُهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك به)أو ما وفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللّحظة المناسبة".[8]

ومن هنا يمكننا القول أنّ الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتكا"، يعدُّ وظيفة عملية غايتها زيادة درجة الرُّضوخ والإذعان عند السامعين كي يقوموا بالعمل المطلوب، أو يكونوا على استعداد للقيام بذلك العمل في الوقت المحدد.

3– تقنيات الحجاج (البلاغة الجديدة):

تعتبر تقنيات الحجاج من أهم ركائز الدرس الحجاجي في البلاغة الجديدة التي صرّح بها "بيرلمان"، وانطلاقًا من تعريفه للحجاج والغاية منه سنّ مجموعة من الآليات والتقنيات التي تساهم في إذعان المتلقي أو زيادة إذعانه، وتعدُّ مدار الحجاج في أي خطاب وقد وزعها "بيرلمان" على نوعين[9]:

أ.الحجج القائمة على الوصل: وهي التي تمكّن من نقل القبول الحاصل حول المقدمات إلى النتائج.

ب.الحجج القائمة على الفصل: وهي التي تسعى إلى الفصل بين عناصر ربطت اللغة، أو إحدى التقاليد المعترف بها بينها. وبالتالي ننطلق من حد لترتفع قيمته وتُحطّ قيمة الحد الآخر، و ذلك بالفصل بين حدي مجموعة من الثنائيات المطروحة داخل الخطاب،والتي نميز أحدهما و

نقصي الآخر بما يحمله من مظاهر تزييف بعيدة عن واقع الحد الأول ومن هذه الثنائيات: (ظاهر/حقيقي، إلهي/إنساني، تحول/ثبات....) [10]

ويتفرّع من هذه الحجج فروع أخرى نمثلها بالمخطط الآتي، ونأتي على توضيحها والوقوف عندها- حسب ورودها في الخطبة- بدقة في الجانب التطبيقي من الدراسة:

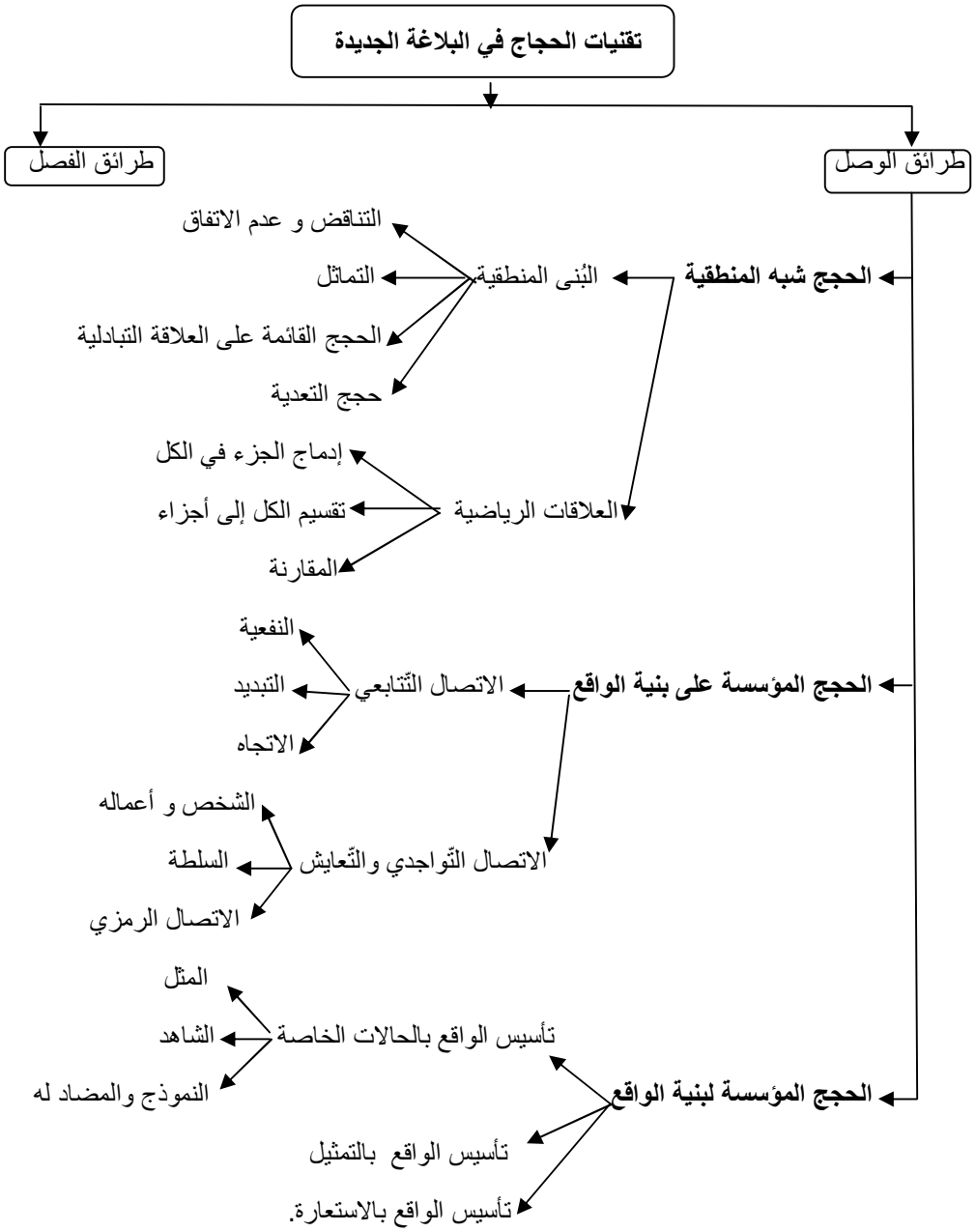

ثانيًا: الخطب المنبرية الدينية وعلاقتها بالحجاج:

1– ماهية الخطب المنبرية الدينية:

الخُطَب جمع تكسير،مفرده خُطْبَةٌ وهي مأخوذة من الجذر الثلاثي لمادة "خ ط ب". وفي لسان العرب " تدلُّ على الشَّأن أو الأمْر الّذي تقعُ فيه المُخاطَبة صَغُرَ أو عَظُمَ، فيقال: خَطْبٌ وخُطُوبٌ".[11]

ويمكننا أن نعرّف الخطبة على أنّها رسالة لغوية وغير لغوية يلقيها خطيب معين على جمع من المخاطبين، يَقصد من خلالها التأثير فيهم ومن ثمَّ إقناعهم.

ونقصد بالخطب المنبرية الدينية: خُطب الجمعة أو العيدين، يكون توجهها دينيًا محضًا يستقيه الخطيب (الإمام) من واقع الحياة الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية... فيصبح الإمام حينها "بين عارض لبضاعة وبين زبون محتمل مضطرًا – اجتماعيًا أو نفعيًا أو جماليًا – إلى استعمال هذه البضاعة في تدبير شأنه اليومي"،[12] فيحرص الخطيب على تقديم النصائح والإرشادات للمتلقين وبالتالي فهو يحتاج إلى مخاطبة جمهوره باللغة المناسبة كي يؤثّر فيهم، كما يحتاج إلى آليات وتقنيات حجاجية من شأنها أن ترسّخ في أذهان المتلقين المقاصد التي يرمي إليها.

2– علاقة الخطب المنبرية الدينية بالحجاج:

لطالما لم يهتم الحجاج في حقيقته بنوع الجمهور بقدر اهتمامه بنوع الخطابات،ففي البدء كان اقترانه بالخطابة أو ببلاغة الخطاب الإقناعي بصفة عامة منذ أرسطو إلى بيرلمان، فنجده دائمًا في رحلة بحث عن تلك الخطابات التي تحمل غاية إقناعية في ذاتها كما الخطب المنبرية الدينية؛ إذ يجدها مكانًا خصبًا للتَّجلي.

ذلك أنّ مسعى كلّ خطيب من خطبته المنبرية الدينية هو استمالة الجمهور، وإقناعه قصد التأثير فيه بوساطة الحجج والأدلة والبراهين التي يستمدها من مصادر مختلفة مخاطبًا عقولهم تارة، ووجدانهم وأحاسيسهم تارة أخرى، وهذا هو الجوهر والغاية من الحجاج عن طريق التأثير في المتلقي توجيهًا له أو تعديلا لسلوكه... قصد إقناعه وقد عرّف "فيليب بروتون" "philip breton" الإقناع بقوله: "هو أحد من الحالات الأساسية للتّواصل، وذلك تبعًا لكون القصد هو التعبير عن إحساس أو حالة أو نظرة خاصة إلى العالم أو إلى الذّات،أو الإخبار،أي

الوصف الموضوعي إلى أقصى درجة لمقام ما(...) الإقناع أي التوجّه إلى المستمع بالمبررات المقبولة لتبنّي رأي ما"[13] ، لهذا نجد الإمام أثناء خطبة الجمعة أو العيدين، يركز على طرق الإقناع لتبليغ مقاصده وأهدافه ضاغطًا على زناد المقدس (القرآن/ السنة)على يقين ومنذ البداية أنّه سيحدث وقعًا في نفس المتلقي الذي يخاطبه.

والخطب المنبرية في جوهرها ترمي إلى إقناع السامعين بحقيقة الدّعوة إلى دين التوحيد والتّمسك بأوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه، وبالتّالي فهي خطب وعظية إرشادية وفي الوقت ذاته حجاجية إقناعية.

ثالثًا: تقنيات الوصل والفصل في خطبة "طرق الوقاية من وباء كورونا" للشيخ صلاح البدير:

1– ملخص الخطبة ومحاورها:

ألقى الشيخ "صلاح البدير" خطبته المعنونة بـ: "طرق الوقاية من وباء كورونا" يوم الجمعة 06مارس 2020 م الموافق لـ: 11رجب 1441هـ بالمسجد النبوي، وقد طالعنا فيها بذلك المطلع الذي عُرفت به الخطب المنبرية الدينية؛ حمد وثناء على الله تعالى وصلاة وسلام على محمد - صلى الله عليه وسلم - وآله وصحبه الطّاهرين.

أشار في مقدمة الخطبة الأولى إلى حِكَم الله في الابتلاء بالأدواء، و يا فوز من صبر حين أُمتحن و أُبتلي. ليتطرق في المحور الأول منها إلى: ضرورة التّفاؤل و عدم القنوط ؛إذ أخبر الشيخ أنّ هذه الأوبئة تكون عظيمة في بدايتها ثم تتلاشى تدريجيا لذلك على الإنسان أن يتفاءل بزوالها.أمّا المحور الثاني فقد قدّم فيه مجموعة من الإرشادات و النصائح لتجنّب الإمراض المعدية ليستدل على التّعامل مع ذلك بالهدي النّبوي.ثمّ ختم الخطبة بدعاء قصير.

في حين خصص الخطبة الثانية – بعد الحمد و الثناء على خير البرية –لاستكمال بقية المحاور فأخبر أنّ أطعمة المسلمين غذاء و شفاء، وبيّن الحكمة من تحريم الله تعالى للبعض منها، ثم أبدى رأيه تجاه قرار تعليق الزّيارة لبلاد الحرمين الشريفين الذي سنّته المملكة العربية السعودية لمنع تفشي الفيروس،ومن ثَمّ يختمها بدعاء طويل كي يرفع الله الوباء على العباد.

2– تقنيات الوصل في الخطبة المنبرية: "طرق الوقاية من وباء كورونا":

لقد أشرنا في المخطط السابق إلى أنّ الحجج القائمة على الوصل تنقسم إلى ثلاث:

- حجج شبه منطقية.
- حجج مؤسسة على بنية الواقع.
- حجج مؤسسة لبنية الواقع.

- **الحجج شبه المنطقية:**

يقول "بيرلمان" عن هذه الحجة "إنّها حجة تدّعي قدرًا محددًا من اليقين من جهة أنّها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أوالرياضية،ومع ذلك فإنّ من يُخضعها إلى التحليل، ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج والبراهين الشكلية لأنّ جهدًا يُبذل في الاختزال أو التّدقيق فحسب – يكون ذا طبيعة لا صورية– يسمح بمنح هذه الحجج مظهرًا برهانيًا، ولهذا السبب ننعتها بأنّها شبه منطقية"[14]؛ من هنا نفهم أنّ هذه الحجج في ظاهرها منطقية لكن في حقيقتها شبيهة بالمنطقية. وبعد ولوجنا للخطبة وجدنا منها:

حجج التناقض وعدم الاتفاق:

"المقصود بالتناقض هو أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلين إحداهما نفي للأخرى وتقضي لها"[15]، بمعنى وجود فرضيتين يتم الاختيار بينهما لإقصاء غير اللاّئقة، وهو أمر يرد بكثرة في الخطب المنبرية؛ إذ يعمد الخطيب إلى هذه الحجة قصد تنبيه المخاطب من مغبة تهويل المرض حدّ الفزع و الهلع و يدعوه إلى التفاؤل فيقول:"و الأوبئة تكون ثمّ تهون ،وكم من أوبئة حلّت ثم اضمحلّت ،وجلّت ثم جلت ،وتوالت ثم تولّت ".[16]

فيظهر هنا أنّ الأوبئة و الفيروسات لن تبقى بالحجم العظيم الذي بدت عليه منذ البداية ؛فالمحاجِج احتاج إل حجّة التناقض كي يستميل قلب المحاجَج و بالتّالي يهوّن عليه حدّة الفزع.

و في موضع حديثه عن الابتعاد عن كل مريض مرضه يعدي يقول:" أيها المسلمون: و يُندب ألَّا يُشرب من فضلة مريض مرضه يعدي لأن الوقاية مأمور بها شرعا"[17] و استدل على ذلك بحديثين الأول أخرجه البخاري و الحاكم ، و الثاني عند الترمذي ينهى فيهما عليه الصلاة و السلام عن الشرب من فم القربة و عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه لما يسببانه من ضرر و رائحة كريهة . و في هذا السياق بالذات نجد المحاجج استدعى حديثا آخر مع ما قاله النبي عليه الصلاة و السلام و هو: " ريق المؤمن للمؤمن شفاء" أو" سؤر المؤمن شفاء".

و الملاحظ أنّ معناه يتضاد تماما مع ما قيل في سابقيه، إلا أنّ المحاجِج استدعاه لنفي الإلباس عن المتلقي الذي تعوّد سماعه و تطبيقه في حياته و هو بذلك يزيد من انتشار الوباء ، لهذا كان على الخطيب استحضار حجة التناقض و عدم الاتفاق من أجل بيان أيّهما أصح و أولى بالإتباع وقاية من تفشي العدوى ،خاصة و أنّه أشار فيما بعد أنّ الحديث الأخير مكذوب موضوع لا أصل له.

- **الحجج المؤسسة على بنية الواقع:**

يقول "بيرلمان" حول هذه الحجة "بمجرد ما يتمّ الجمع بين عناصر من الواقع في علاقة معترف بها يصبح من الممكن أن نؤسّس عليها حجاجًا يسمح بالمرور ممّا هو مقبول إلى ما سعى لجعله مقبولا"[18]، لذلك فإنّ هذه الحجة في حقيقتها تستمد وجودها من أنّها نابعة من الواقع الذي يقتنع به المخاطب ويذعن له، وغالبًا ما خاطبت الخطبة المنبرية المتلقي الذي يُذعن لما حدّده الواقع المُعاش.

الاتصال التّتابعي والحجة البراغماتية: تعتمد هذه الحجة على السّبب ونتائجه وقد عثرنا منها في الخطبة على:

الحجة النفعية: إذ يعرّفها "بيرلمان" بقوله: "أسمي حجة نفعية حجة النتائج التي تقيّم فعلا أو حدثًا أو قاعدة أو أي شيء آخر تبعًا لنتائجه الإيجابية أو السلبية"[19]، وقد استوقفتنا هذه الحجة في الخطبة في قول المحاجِج: " ويا فوز من صبر حين أُمتحن و ابتلي"[20]،و قوله:" اتقوا الله يسبغ عليكم النعم ،ويدفع عنكم النقم ،ويعلي قدركم بين الأمم"[21] لذلك فلا مناص للمسلم من الصبر واليقين لأنهما سببان من الأسباب التي تدرُّ على المسلم بالنّفع الكثير والخير العميم المتمثل في الأجر، أي دخول الجنة وحصول المنفعة، ويمكن التمثيل لها بالمخطط الآتي :

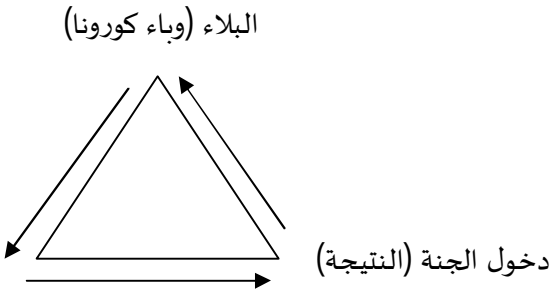

لذلك نقول أنّ هذه الحجة قائمة على ربط الأحداث فلا يمكن أن يكون الفعل ناجحًا إلا في حال ارتباطه بفعل آخر قبله أو بعده،فدخول الجنة في حجة المحاجِج لا يكون إلّا بالصبر على البلاءات و اليقين.

الاتّصال التواجدي وعلاقات التعايش.

حجة السلطة: في حقيقة هذه الحجة أنّها تستمد قوتها من "هيبة الشخص ومجموعة أشخاص لدفع المخاطب إلى تبني دعوة ما، والسلطات التي يتم الاعتماد عليها في الحجاج متنوعة، فقد يكون الاجتماع أو العلم تارة، وقد تكون فئات من الناس تارة أخرى كالعلماء والفلاسفة ورجال الدين والأنبياء، وأحيانًا قد تكون سلطة غير شخصية كالفيزياء أو المذاهب أو الكتب المنزلة"[22]، على ألّا تكون حجة السلطة هي الحجة الوحيدة في الحجاج، بل مكملة لحجج كثيرة أخرى.[23]

وبما أنّ الخطب المنبرية تعتمد على قصدية التوجيه بالحجة، وبما أنّ هذه الخطبة جاءت لتوعية المخاطبين بخطورة هذا الوباء، فكان لزامًا على الخطيب أن ينوّع في حجته السلطوية حتى يستطيع التأثير في المتلقي وبالتالي يذعن لنصائحه ويتفادى بذلك احتمالية إصابته بهذا الفيروس، ومن بين تلك السلطات:

السلطة الدينية (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف):

من المسلّم به أنّه لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تُقدَّم أيّة خطبة منبرية دينية دون الاتكاء على القرآن والسنة، وذلك لما يحيط بهما من هالة قدسية تجعل المخاطَب مصدّقًا مقتنعًا منقادًا من خلالهما لكلام الخطيب مسلّمًا به، خاصة لمّا يتعلّق موضوع الخطبة بأمر جلل "فيروس كورونا" الذي أحدث الهلع والرعب في نفوس البشر، فاحتاج الخطيب في خضمّ ذلك أن يستدعي أغلب النصوص الشرعية من الكتاب والسنة؛ إذ نجد من القرآن قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الّذينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاته وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلمُون"[24] في سياق حديثه عن النّفع الذي سيحصل عليه الإنسان جرّاء صبره، وقوله:" يَا أَيُّهَا الّذينَ آَمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ كُونُواْ مَعَ الصَّادقين"[25] ليؤكد على ما جاء في الآية الأولى .

فنلاحظ أنّ استدعاء المحاجِج لهتين الآيتين بالذّات يتناسب و سياق الخطبة إضافة إلى تناسبه مع الظروف التي يمرّ بها الإنسان من انتشار للمصائب و الأوبئة.

وبالتّالي ما من حجة يطرقها المحاجِج قصد التأثير في المتلقين وتسليمهم وإذعانهم هي أعظم من حجة سلطة كلام الله.

هذا إضافة إلى حجة السنّة النبوية التي حظيت بنصيب وافر في هذه الخطبة سواء القولية منها أو الفعلية :

"- عن أنس بن مالك –رضي الله عنه-أنّ النبي صلى الله عليه وسلم –قال:<< ويعجبني الفأل">>قالوا: وما الفأل؟ قال <<كلمة طيبة>>(متفق عليه)

- عن أبي هريرة –رضي الله عنه-أنّ رسول الله–صلى الله عليه وسلم-قال:<<إذا عطس أحدكم فليضع كفّيه على وجهه، وليخفض صوته >>(أخرجه الحاكم)

- عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول: <<غطوا الإناء و أوكوا السّقاء ؛فإنّ في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمرّ بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء ،إلّا نزل فيه من ذلك الوباء>>(أخرجه مسلم)

- عن أسامة بن زيد-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- <<الطّاعون رجز أو عذاب أُرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم ،فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه>>(متفق عليه)

- عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: << كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم – إذا أراد أن يأكل أو يشرب – أي : و هو جُنُب – غسل يديه ثم يأكل أو يشرب>> (أخرجه النسائي)

- عن ابن عباس – رضي الله عنه - قال: << نهى رسول – صلى الله عليه وسلم – عن أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير>> (أخرجه مسلم، وابن حبان و اللّفظ له) ".[26]

إن استحضار الخطيب لهذه النصوص – ومثلها الكثير – إنّما هو بدافع المحاجَجَة، ومحاولة منه لإقناع السامعين أنّ فيروس كورونا مثله مثل بقية الأمراض المعدية لها طرق تُتقى بها قبل نزولها، ولها طرق علاج بعد نزولها،و على المسلم التيقن أنّ هذه الأوبئة جند من جنود الله يطلقها على من شاء ويمسكها متى شاء، وأنّ النّفع والضرر بيده وحده، واختار الخطيب الاستعانة بالأحاديث النبوية سواء القوليّة أم الفعلية إنّما هو بدافع الاقتداء بما قام به عليه الصلاة والسلام في مثل هذه الجائحة قصد أخذ العبرة، ولكم في رسول الله أسوة حسنة.

سلطة العلم (الطب): هي من بين السلطات التي يجب على المحاجِج الاستعانة بها في موضوع كفيروس كورونا، فالعلم هو الذي يبيّن الحقائق و يدقق فيها، فكلّما استعان الخطيب بهذه الحجة كلّما تأكد من قوة تأثيره في الآخرين، وبالتالي الإذعان والتسليم بما يقول.

ومن بين ما حاجج به المحاجِج (الإمام) في هذا الموضع قوله:"أيّها المسلمون: والمعانقة و التّقبيل جائزة ،ولكن حذّر منها الأطباء في زمن كورونا؛ احترازا من تفشي الوباء ،والالتزام بذلك من الحكمة و العقل و الفقه ،وقد أخذ الفقهاء بقول الأطباء الثُّقاة في كثير من الأحكام".[27]

فالذي يتلقى هذه الحجة سيقتنع بأنّ ما قاله الإسلام حول هذا الوباء لا يتعارض مع ما قاله الأطباء ،فهما يسيران على خط واحد ،وما نراه اليوم من تعليمات صادرة عن وزارة الصحة في ظرف هذه الجائحة وما قالت به الشريعة الإسلامية ؛سواء من حجر صحي أو من التزام بالنظافة ما هو إلا دليل قاطع على ذلك.

سلطة الخطيب(إمام المسجد) : يستمد مؤسس الخطاب (الإمام) سلطته من ثقته وعلاقة التعايش التي يكون قد بناها من قبل، وبالتّالي تستطيع الذّات المتكلمة فرض بعض المواقف وإنشاء حجج استنادًا لتجاربها الخاصة التي مرّت بها، ففي سياق تقديمه لمجموعة من النّصائح و الإرشادات – نجده يقول: " اتقوا مضار العلل و مواطن الوباء"[28]، ويقول أيضًا: "وخمّروا الآنية و أوكوا الأسقية؛ اتقاء للوباء و الداء، واحترازا من الهوامّ والقوامّ".[29]

نلاحظ من خلال هذه النصائح التي قدمها الشيخ أنّها نابعة من سلطة الذات بناء على المسؤولية الملقاة على عاتقها؛ إذ يبدو حريصا على سلامة مستمعيه، وقد استجلب هذه الحجة فقط ليفرض سلطته العليا – سلطة الأنا – الذات (إمام المسجد)– على المتلقين عساهم أن يتقوا شرّ الوباء.

- **الحجج المؤسسة لبنية الواقع:**

تؤسس هذه الحجة للواقع ولا تتأسس عليه "بل تُظهر ما اختفى من علاقات بين أشيائه، أو تُجْلي ما لم يُتوقع من هذه العلاقات، وما لم ينتظر من صلات بين عناصره ومكوناته"[30]، وعثرنا منها في الخطبة على:

المثل: "إن الأمثال هي بنيات مستمدة من الواقع الماضي بما يختزنه من تجارب إنسانية وأحداث تاريخية ذات قيمة مجتمعية تحظى باهتمام الأفراد، وتُستخدم داخل القول الحجاجي

للإقناع بما تقدّمه من تصور وتجريد للأشياء، وما تتضمنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحجاجي"[31]، وبما أنّ المثل يكون غالبًا مستمدًا من الواقع فإنّ وقعه سيكون بالغ الأثر على المتلقي. قال المحاجِج في سياق حديثه عن تجنّب الشخص الحامل لمرض معدي:" فإذا كثروا رأيت أن يتخذوا لأنفسهم موضعا ،كما صُنع بمرضى مكة"[32]، فاستجلاب المحاجِج للصنيع الذي أُتخذ مع مرضى مكة لمّا تغشاها الطاعون قديما إنّما هو ضرب لمثل واقعي يتشابه مع ما هو واقع من انتشار للوباء في الوقت الرّاهن، لذلك يضمن الخطيب إذعان المتلقين خاصة لمّا تصل لهم الصورة مجسدة فيتمّ اتخاذ نفس التدابير الوقائية.

الشاهد: يؤتى بالشاهد من أجل "توضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في الذهن"[33]، وهو ينطبق على "النصوص ذات القيمة السلطويّة على المخاطب كالمقولات الدينية، أو كلمات القوّاد الخالدين في نظر الجماعة المقصودة"[34]، ويمكننا أن نستشف ذلك من استحضار الشيخ لما قام به الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ظل الطاعون أكبر حجة لإقناع المتلقين بالحجر الصحي حين قال: " وعن الشريد بن سويد الثقفي – رضي الله عنه- قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي- صلى الله عليه وسلم- " إنّا قد بايعناك فارجع" (أخرجه مسلم) فلم يبايعه –صلى الله عليه وسلم- مصافحة و لا مواجهة ؛لأنّ مخالطة المجذوم من أسباب العدوى عادة "[35].

هذا، ويمكننا القول في هذا الموضع أنّ حجة الشاهد تتقاطع في كثير من الأحيان مع حجة السلطة خاصة مع حجة سلطة القرآن الكريم والحديث النبوي شريف،التي تم التفصيل فيها سابقًا.

الاستعارة: لقد اهتم "بيرلمان" بالاستعارة ليس من النّاحية الأسلوبية التّجميلية ،بل عدّها من بين الحجج التي تؤدي وظيفة إقناعية و هي في رأيه" تَمثيلٌ تَكَثّفَ فهو موجز،ووجه الكثافة فيه و الإيجاز، الاندماج الحاصل بين أحد عناصر الموضوع، أو أحد عناصر الحامل، اندماجا لا يمكن معه معرفة أيّ العنصرين هو الموضوع،وأيّها هو الحامل"[36]. و استعان المحاجِج بهذه الحجة حين قال:" لقد طُعنَ العالم في رئتيه بداء "كورونا"،ذلك الوباء الذي سلَب الأجفانَ كَراها، والأبدانَ قُواها، وغزا البلدانَ وغشَّاها، وفتَق الأجواءَ،وشقَّ الأرجاءَ،وأفسَد الهواءَ"[37] وحجته هذه بينت الآثار الجسيمة التي خلَّفها الوباء؛إذ صوّره في هيئة إنسان فائق القوّة من باب الاستعارة و هو ما يستدعي من المتلقي استحضارا لتلك الصورة و تمثيلا لها في ذهنه و كذا تجسيدا ،و بالتالي يزيد اقتناعا وإذعانا.

3– تقنيات الفصل في الخطبة المنبرية " طرق الوقاية من وباء كورونا":

بعد أن تطرّقنا إلى الحجج القائمة على الوصل وبيّنا كيف تمت المحاجَجَة بها في الخطبة نأتي الآن لبيان طرائق الفصل:

يرى "بيرلمان" أن تقنية الفصل قلّما اشارت إليها الخطابة القديمة، ذلك لأنها تفرض نفسها خاصة في المجال الفلسفي الذي يحتاج إلى حل نزاعات معينة و لتحقيق ذلك وجب الفصل بين المفاهيم المسلم بها و يتم الفصل في الغالب باللجوء إلى ثنائية ظاهر/واقع[38]، إذن يتم فصل وحدة المفاهيم المتضامنة لأجل إقصاء أحد العنصرين اللّذين تمّ الفصل بينهما للتّأكيد على الباقي[39]،ويتم الفصل بينها، لأنّ ارتباطها يؤدي إلى حدوث تناقضات.

وفي كتابه "عبد الله صولة" بيّن كيفية تشكّل هذا النوع من الحجج في الخطابات منها:[40]
*شبه كذا pseudoمثل: شبه علمي.
*اللّا كذا: اللّاعلمي.
*غير كذا: غير مريح.
*بعض الجمل الاعتراضية: إن هذا الطالب- إنْ صحَّ أنه طالب-.
*بعض الأفعال غير اليقينية: مثل: يزعم، يتوهم، كقولنا: يزعم أنه بطل.
*وضع بعض الأقوال بين قوسين أو مزدوجين: كأن نكتب: لقد كنت يومًا (شجاعًا)
لكننا أثناء الخطابات والنصوص لا نجد تعبيرًا حرفيًا لتلك الثنائيات يقود إلى الفصل بينها، "بل على القارئ أن يهتدي بعقله إلى الفصل بين تلك المفاهيم بواسطة عملية تأويلية توصله إلى المعنى المقصود".[41]

وممّا أورده المحاجِج في خطبته قوله "و الاحتجاب عمّن داؤه يُعدي- عادة- لا حرج فيه"[42]، فقط من باب الفصل بين ما هو ظاهر و شائع عند عامة النّاس وهو التّعاطف و التهاون مع من يحمل المرض المعدي و عدم أخذهم للإجراءات اللّازمة و هذا أمر زائف في نظر المحاجِج ،وبين ما هو باطن حقيقي يتمثل في الابتعاد عن المريض مع عدم الوقوع في الحرج .
و قوله أيضا:"
خاتمة:

خلصت الدّراسة إلى جملة من النّتائج نوردها على النّحو الآتي:

- تعتمد البلاغة الجديدة على تحليل تقنيات الحجاج وفقًا للخطاب ذاته من جهة، وللتأثير على المتلقين من جهة ثانية، ولكن ذلك يستوجب ربط الخطاب بالسياق أو الموقف التواصلي الذي ورد فيه.

- تقوم البلاغة الجديدة عند "بيرلمان" على مجموعة من الحجج تتنوّع بين الوصل والفصل.

- إن الهدف من الخطب المنبرية الدينية الاستمالة والتأثير في الجمهور المخاطب وإقناعه بشتّى الحجج والبراهين، وهو ما فعله الشيخ "صلاح البدير" في خطبته "طرق الوقاية من وباء كورونا".

- طغيان حجج الوصل في الخطبة مقارنة بالفصل فيه إشارة إلى أنّ الخطيب أثناء حديثه عن الوقاية من وباء كورونا كان كلامه حاسما مبنيا على خبرات وتجارب سابقة لمن عاشوا نفس الوباء لهذا فهو لا يحتاج إلى فصل بين المفاهيم أو حل للتعارضات لإقناع المتلقين بخطورة الوباء قصد اتّقائه. وأثناء ذلك كان لحجة السلطة حصّة الأسد؛ إذ استدعى المحاجِج نصوصًا كثيرة من القرآن والسنة وهو أمر بديهي، فلا حجة تعلو عليهما لما يحملانه من تأثير على المتلقي فيبعثانه على التّسليم والإذعان، و بما أنّ موضوع الخطبة يتحدث عن طرق الوقاية من وباء كورونا إذن فالمحاجِج يجد نفسه يستدعى جميع ما قام به النبي عليه الصلاة و السلام و كذا الصحابة أو ما قالوه في المواقف المشابهة لهذا الوباء بغرض الإقتداء و أخذ العبرة و هو ما يفسر غلبة حجة السلطة و بالأخص سلطة السنة النبوية عن بقية السلطات أو الحجج.

- كانت حاجة المحاجِج للحجج الأخرى ضرورة ملحّة (التناقض وعدم الاتفاق – الحجة القائمة على النفعية – المثل – الشاهد – الاستعارة- حجج الفصل...) كلّها من أجل زيادة الضغط على المتلقي وإيصال مقاصده إليه، والمتمثلة في التعامل مع الفيروس بجدية وحذر أكثر وبالتّالي ضمان السلامة.

الهوامش:

[1] - محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ط1، 2008، ص102.

[2] - صابر الحباشنة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008، ص106.

[3] – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ج 2، (د ط)، 1979،ص30.

[4] – أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006، ص16.

[5] – أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، تر: محمد العمري، مجلة علامات، ج22، مجلد6، ديسمبر1996، ص89.

[6] – عبد الله صولة، في نظرية الحجاج – دراسات وتطبيقات – مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط 1،2011، ص11.

[7] – سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة – بنيته وأساليبه –، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008، ص21.

[8] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، صفر 1413 هـ أغسطس/ آب، 1992م، ص74.

[9] – الحسين بنو هشام، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2014، ص57.

[10] – ينظر: المرجع نفسه، ص95.

[11] – ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، مج 2، (د ط)، (د ت)، ص361.

[12] – سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، 2009، ص45.

[13]- philipe breton, largumenntation dans la communication, alge, casbah, 1998, p04.

[14] – سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث الأردن، ط2، 2011، ص191.

[15] – عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص42-43.

[16] – صلاح البدير، ملتقى الخطباء(طرق الوقاية من وباء كورونا)، 2020/03/06، 2021/11/02
https://khutabaa.com/ar/article

[17] – المرجع نفسه.

[18] – الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص57-58.

[19] – المرجع نفسه، ص72.

[20] – صلاح البدير، ملتقى الخطباء (طرق الوقاية من وباء كورونا).

[21] – المرجع نفسه.

[22] – الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص79.

[23] – ينظر، عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياتهم،من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبيرلمان و تيتكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، ص335.

[24] – آل عمران، الآية/102.

[25] – التوبة، الآية/119.

[26] – صلاح البدير، ملتقى الخطباء(طرق الوقاية من وباء كورونا).

[27] – المرجع نفسه.

[28] – المرجع نفسه .

[29] – المرجع نفسه.

[30] – سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص242.

[31] – قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص46.

[32] – صلاح البدير، . ملتقى الخطباء(طرق الوقاية من وباء كورونا).

[33] – صابر الحباشنة، التداولية والحجاج، ص49.

[34] – محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص131.

[35] – صلاح بدير، ملتقى الخطباء(طرق الوقاية من وباء كورونا).

[36] – عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص60.

[37] – صلاح بدير، ملتقى الخطباء(طرق الوقاية من وباء كورونا).

[38] – ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص95.

[39] – ينظر، فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011، ص57.

[40] – عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص62- 63.

[41] – الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص98.

[42] – صلاح البدير، ملتقى الخطباء(طرق الوقاية من وباء كورونا).

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

الكتب:

1- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، ط1، بنغازي/ليبيا، 2008، ص102-131.

2- صابر الحباشنة، التداولية و الحجاج مداخل و نصوص، صفحات للدراسات و النشر، (دط)، دمشق،2008، ص106-49.

3- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،ج2، بيروت، (دط)، 1979، ص30.

4- أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 2006، ص16.

5- عبد اله صولة، في نظرية الحجاج- دراسات و تطبيقات-، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس،ط1،ص11-42-43-60-62-63.

6- سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة-بنيته و أساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 2008، ص21.

7- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص74.

8- الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت/لبنان،ط1، 2014، ص57-58-79-95.

9- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت/لبنان، المجلد2، (دط)، (دت)، ص361.

10- سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية آليات الإقناع و الدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2009، ص45.

11- Philipe breton, largumenntation dans la communication, alge, casbah, 1998, p04.

12- سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه، عالم الكتب الحديث،الأردن، ط2، 2011، ص191-242.

13- عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبيرلمان و تيتكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف:حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، 1998، ص335.

14- قدور عمران، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2021، ص46.

15- فيليب بروتون و جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011، ص57.

المجلات:

أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، تر: محمد العمري، مجلة علامات، ج22، مجلد6، ديسمبر1996، ص89.

مواقع الإنترنيت:

صلاح البدير، ملتقى الخطباء (طرق الوقاية من وباء كورونا)،تاريخ النشر 06/ 03/ 2020، تاريخ الاسترداد 02/11/ 2021 من https://khutabaa.com/ar/article .